## المحاضرة الثانية:

# تعريف المرض السيكوسوماتي

### تمهيد :

يعود الأصل اللغوي لكلمة " سيكوسوماتك" إلى اللغة اليونانية ويشار إليها بكلمة مركبة من مقطعين هما PSYCHE وتعني نفس و SOMA وتعني الجسد أو الجسم ، ومصطلح المرض السيكوسوماتي كما يتم تداوله له معنيان (عبد المعطي ، 2003 :18): المعنى الأول ينظر إلى الفرد ككل على أساس أنه نظام ديناميكي معقد وفي حالة عدم اتزان يستجيب للتغيرات في بيئته وفي نفسه وإذا اختل أي من وظائفه انتقل الاختلال إلى الوظائف الأخرى. أما المعنى الثاني فيركز أكثر على تلك المظاهر الخاصة للوظيفة النفسبيولوجية والتي تؤدي فيها الأحداث الخارجية أو الداخلية إلى استثارة عمليات استجابية للمخ تنشط الغدد الصماء وبذلك تتغير وظيفة العضو المستهدف فتحدث اضطرابات حشوية يطلق عليها الأمراض السيكوسوماتية.

وتعددت التعريفات حول الاضطراب السيكوسوماتي واختلفت حسب مختلف الاتجاهات العلمية والجدير بالذكر أن بعض الباحثين والأطباء أمثال **جاكوبي** (1828) Jacobi ميزوا بين الحالات المرضية التي تبدأ بالعوامل العضوية وتحدث اضطرابات نفسية قد تؤدي بدورها إلى اختلالات عضوية وظيفية تؤثر في التوازن العضوي للفرد أو ما يطلق عليها **السوماتو نفسية** Somato-Psychic وبين الحالات المرضية التي تبدأ بالعوامل النفسية وتحدث اضطرابات عضوية ، والمهم هنا التأكيد على دور العامل النفسي في إحداث الخلل العضوي. ومع تقدم الدراسات الطبية والنفسية والعصبية أصبح مصطلح الاضطرابات السيكوسوماتية يشير إلى الاضطرابات العضوية أو الحشوية التي يشرف على عملها جهاز عصبي لاإرادي والتي ترجع أصلا إلى عوامل نفسية كالانفعالات المتراكمة (الزراد ، 2000 : 19-20). وسوف نعرض فيما يلي لمجموعة من التعريفات حول المرض السيكوسوماتي مصنفة إلى ثلاث مجموعات (عبد المعطي ، 2003 :19-27) :

- تعريفات تركز على أعراض الأمراض السيكوسوماتية وخصائصها باعتبارها حالة جسمية مرضية لها خصائص سيكولوجية.
- تعريفات تركز على أسباب حدوث الأمراض السيكوسوماتية باعتبارها ناتج لاضطراب سيكولوجي واجتماعي وتلعب فيها الضغوط والانفعالات دورا أساسيا وبارزا.
- تعريفات تجمع بين الأعراض وأسباب حدوثها، أو تركز على الأسباب النتائج معا.

### 1- الأمراض السيكوسوماتية كحالة جسمية مرضية لها خصائص سيكولوجية :

يرى كل من **دافيزون ونيل** Davison & Neal (1978) أن الأمراض السيكوسوماتية توصف باعتبارها أعراضا جسمية تنشأ عن عوامل انفعالية ، وتتضمن جهازا عضويا واحد من الأجهزة التي تكون تحت تحكم الجهاز العصبي المستقل أو اللاإرادي ، ويركز هذا التعريف على نقطتين أساسيتين:

الأولى أن المرض السيكوسوماتي مرض حقيقي يتضمن تلفا في الجسم ناشئ عن عوامل انفعالية والثانية أنها تتميز عن ردود الفعل الهستيرية التي لا تتضمن أي تلف عضوي فعلي للجسم فهي اختلال وظيفي في الجهاز العصبي الإرادي وبذلك فهي عكس الأمراض السيكوسوماتية تماما. ويعرف هاس **Hass (1982)** المرض السيكوسوماتي بأنه أي مرض جسمي يمكن أن يكون له جذور سيكولوجية ، فالكائن البشري عبارة عن وحدة متكاملة يعمل فيها الجسم والنفس معا في نظام متكامل. وغالبا ما تنشأ عن طريق التفاعل بين المتغيرات الجسمية والانفعالية وتتأثر بمواقف الحياة وضغوطها (عبد المعطي، 2003 : 20).

هذان التعريفان يركزان على أعراض وخصائص الاضطراب ويؤكدان على المظاهر الخاصة للوظيفة النفسبيولوجية ككل. والتي تؤدي فيها الأحداث الخارجية التي استثارة عمليا استجابية للمخ تؤدي إلى حدوث تغيرات في الوظيفة العضوية أو تلف في احد الأعضاء التي يتحكم فيها الجهاز العصبي المستقل ، وبذلك تنظر إلى الأمراض السيكوسوماتية كمظاهر أو كعمليات ناتجة عن تفاعلات معقدة بين المخ وبقية الجسم .

## 2- الأمراض السيكوسوماتية كناتج لاضطراب سيكولوجي اجتماعي :

تركز هذه التعريفات على أن هذه الأمراض تحدث نتيجة لضغط انفعالي مستمر يعيشه الإنسان أو نتيجة استمرار مشكلات الحياة اليومية. وفي هذا الإطار تعرف دائرة المعارف البريطانية تلك الأمراض بأنها استجابات جسمية للضغوط الانفعالية تأخذ شكل اضطرابات جسمية مثل الربو وقرحة المعدة وضغط الدم المرتفع ... (شقير ، 2002 : 23). والضغط هنا يتوقف على الأسلوب الذي يستجيب به الفرد لمشكلات الحياة المختلفة. وترى **أناستازي Anastasie** أن تعبير سيكوسوماتي ينطبق على تلك الأمراض الجسمية التي تؤدي فيها الضغوط الانفعالية إلى حالة مرضية ملموسة ويستخدم هذا المصطلح بمعنى أوسع لتوضيح أثر العوامل السيكولوجية على الوظائف الفسيولوجية .

ويشير **ليدز Lids** إلى أن الطب في تشخيصه لبعض الأمراض قد تحول من البحث عن سبب وحيد للمرض إلى اعتبار وجود عوامل متعددة يمكن أن تقلب الاتزان الحيوي لدفاعات الكائن الحي فقد وجد في مجال اكبر للمحددات الانفعالية بالنسبة لما نسميه بالأمراض السيكوسوماتية وأصبح من الواضح أن العوامل الشخصية يمكن أن تأثر في بداية حدوث هذه الأمراض واستمرارها أو تضعف من المقاومة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تعزيز الإهمال اللاشعوري أو إبدائه.

ويرى كل من **أيزنك Eysenek وأرنولد Arnold وميلي Meili** أن مصطلح سيكوسوماتي يستخدم بمعاني مختلفة ، والاستخدام الضيق الأكثر انتشارا هو للدلالة على عدد محدد من الأمراض التي لها صفات مميزة ، وبتعميم أكثر فإنه ينظر إلى المرض باعتباره علاقة بين الفرد وبيئته ويعتبر كلاهما تكاملا للظواهر الجسمية والنفسية.

### 3- التعريفات التي تجمع بين الأسباب والنتائج:

يسمى هذا الاتجاه بالاتجاه التكاملي ويركز بالتفصيل على كل من الأسباب والنتائج معا ويرى أصحابه أن مصطلح سيكوسوماتي أصبح يلقى اهتماما واستخداما واسعا في المجال العلمي لأنه يجسد الاتجاه الثنائي للجسم والنفس ، ومما ساعد على انتشاره الحاجة لمفاهيم يمكن أن تصف تأثير الانفعالات وعدم توافق الشخصية على حدوث اختلال وظيفي ومرض جسمي فسيولوجي ولهذا فان كلمة سيكوسوماتي ملأت فراغا وانتشرت بسرعة وأصبح من الصعب محوها أو الرجوع عنها.

ويشير **ريس Ress** أن كلمة سيكوسوماتي تستخدم بمعينين: الأول يشير إلى أن كل مرض يكون له عادة أشكاله السيكولوجية الاجتماعية وينطبق هذا المعنى على كل الأمراض ، وذلك اقتراب من عمل جميع الأطباء والمعنى الثاني يستخدم المصطلح بمعنى أكثر تحديدا ليعني بعض الأمراض التي يكون من المحتمل أن تلعب العوامل السيكولوجية الاجتماعية دورا واضحا في أحداثها جنبا إلى جنب مع العوامل الجسمية . وهذا المعنى الذي يعبر عن نوع من الأمراض التي لها مميزات معينة احدها وجود عوامل نفسية مع قابلية في بنية الجسم للإصابة بهذه الأمراض (عبد المعطي ، 2003 : 25) .

من خلال استعراض هذه المجموعات الثلاثة من التعريفات للاضطرابات السيكوسوماتية يمكن القول أن المرض السيكوسوماتي يظهر عندما يتعرض الفرد لموقف ضاغط فيستجيب على المستوى الفزيولوجي حيث ينشط ذلك الضغط الانفعالي الجهاز العصبي المستقل (اللاإرادي) مسببا تناوبا في الوظائف كزيادة الإفرازات ، زيادة التنفس... ، والتي إذا كانت حادة فإنها يمكن أن تؤدي إلى تغيرات في بناء الجسم كقرحة المعدة والربو الشعبي ، ويمكن أن يكون الفرد واعٍ أو غير واعٍ بما يصاحب الاستجابة النفسية وبذلك تتميز هذه الاضطرابات بأنها رد فعل فسيولوجي جسمي ضخم ناتج عن اضطراب سيكولوجي .